المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر

أ. أولاد سيدي الشيخ – ب. المقراني و الحداد – ج. بوبغلة ولالة فاطمة نسومر

أ. مقاومة أولاد سيدي الشيخ : أثناء توسع الجيش الفرنسي في الجنوب الغربي اصطدمت بثورة بقيادة أولاد سيدي الشيخ وهذا للدفاع عن مجالهم الحيوي، عبر الهضاب العليا الجزائرية، اتي تتمتع بموقع استراتيجي هام وخطير في عمليات التوسع الاستعماري، وقد تنوعت أسباب إندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ من أسباب اقتصادية وسياسية ودينية ،ويمكن ذكرها فيما يلي: - الانتقاص من قيمة أسرة أولاد سيدي الشيخ العريقة، والعمل على تحطيم نفوذها السياسي والاجتماعي، كما حاولت إحداث الفرقة في أوساط هذه الأسرة، وسحب آغوية ورقلة من دائرة نفوذها وربطها بمقاطعة قسنطينة، كما عينت السلطات الاستعمارية بعض القياد الجدد من الجزائريين في المنطقة دون الرجوع إلى سي سليمان زعيم أولاد سيدي الشيخ وموافقته مما أثار حفيظته. - قامت السلطات الفرنسية من فرض ضرائب باهضة وغير معقولة على الأسرة إلى جانب مصادرة أراضيها وأملاكها العقارية والحيوانية، ونفس السياسة إتبعتها مع الجزائريين، إذ أرهقتهم بالضرائب العديدة التي فرضتها عليهم في المنطقة، وهذا لإفقارهم وتحطيمهم ماديا حتى لا يفكروا في الثورة ضدها .وكان سوء معاملة ضباط المكاتب للسكان عاملا آخرا لاندلاع الثورة. **- أما السبب المباشر لاندلاع الثورة** فهو الشجار الذي حدث بين سي الفضيل وبين أحد جنود الصبايحية يوم 29 جانفي 1864، والذي انتهى بتدخل كل الصبايحية الذين اقتادوا سي الفضيل إلى مقر المكتب العربي بأمر من الملازم بوران وعاقبوه بالضرب بالعصا على أقدامه، فاعتبر سي الفضيل هذا الأمر إهانة كبيرة له ولعائلته، فأشعل نار الثورة بعد التشاور مع مجلس الجماعة. وقد دامت الثورة من سنة 1864 إلى غاية سنة 1881 أي سبعة عشر (17) سنة، وقد مرت بمرحلتين:- **المرحلة الأولى** 1867 - 1864، وكانت الغلبة لأولاد سيدي الشيخ، ولكن على إثر معركة الشلالة سنة 1866 تشتت رجال الثورة وتوزع معظمهم عبر التراب الوطي، وإختبأ القادة في مخابئهم، وبذلك عر الجنوب الغربي بعض الهدوء، ودخلت الثورة مرحلة جديدة من مسيرتها، ولكن ورغم كل ذلك لم تتحطم معنوياتهم.

- المرحلة الثانية: 1881 - 1867: في سنة 1871 فتحت جبهتان على القوات الفرنسية الأولى التي كانت في الجنوب الغربي (أولاد سيدي الشيخ) والثانية في الشرق الجزائري (مقاومة المقراني) ، فما كان على فرنسا إلا أن تسعى لتوقيع هدنة مع الجبهة الأولى مع زعيمها سي قدور ولد حمزة، لكنه رفض واشتبك معها في معركة يوم 17-04- 1871م. كان النصر حليفا المجاهدين، لكن الخسائر التي تكبدوها حالت دون التحامهم مع مقاومة المقراني، وانسحب سي قدور ومن بقي معه من الجاهدين إلى داخل التراب المغربي، لكن سلطان المغرب ضغط على سي قدور ليغادر البلاد نحو الجنوب الغربي يوم 03- 05- 1871م. واستمرت الثورة حتى عام 1875 ليحدث فتورا فيها لمدة أربع) 04 (سنوات، ثم استأنف المجاهدين الثورة في عام 1879، إذ قام سي قدور ولد حمزة بتنشيط الثورة وذلك بمهاجمة الحاميات الفرنسية المنتشرة عبر الحدود الغربية، ولكن دون نتيجة ،لهذا توقف نشاط الثورة بصورة عامة، فقرر قائد الثورة الاستقرار في وادي قير بالمغرب الأقصى، وتفرق باقي الزعماء الآخرين وتوزعوا في أماكن مختلفة ، ولم يظهروا إلا في الثورة الثانية بقيادة الشيخ بوعمامة. وقد تعرضت الثورة في مسيرتها إلى مشاكل كثيرة، منها كثرة الخلافات بين قادتها، مما أضعفها وجعلها تفتر في بعض الوقت، وقد استغلت فرنسا هذه الخلافات لتزيد في فرقتهم متبعة سياسة فرق تسد للتسرب داخل صفوفهم واختراقهم لمعرفة نقاط الضعف وخططهم العسكرية.

ب. مقاومة المقراني و الشيخ الحداد : اندلعت ثورة المقراني في جانفي 1871 واستمرت إلى غاية 20 جانفي 1872 ، تزعمها كما ذكرنا سابقا كل من الشيخ المقراني وأبناء الشيخ الحداد، وقد شملت المناطق التالية :برج بوعريريج،العلمة، سطيف، البويرة، الأخضرية، ذراع الميزان، بجاية، تيزي وزو، بومرداس. وترجع أسباب اندلاع هذه الثورة إلى تأزم الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية بسبب الكوارث التي عرفتها الجزائر بين سنتي 1863 و 1869 (جراد، جفاف ، المجاعة، زلزال)...، وانتشار الأوبئة، والذي زاد الطين بلة هو سعي الكنيسة المسيحية لتمسيح الأطفال والأيتام الجزائريين على إثر هذه المجاعات، وكذا إصدار السلطات الفرنسية لمرسوم كريميو في 24أكتوبر1870 ، دون أن ننسى إرهاق السلطات الاستعمارية كاهل الجزائريين بالضرائب، ومصادرة أراضيهم ومنحها للمعمرين ولليهود والأروبيين مما زاد في بؤس الجزائر.

أما دوافع المقراني إلى إعلان الحرب ضد السلطات الفرنسية فهي إهانتها المتعمدة وإذلالها لأفراد عائلته، بالإضافة إلى إنتزاع فرنسا خمسة آلاف (5000) هكتار من أراضي المقرانيين(أولاد قندوز) في منطقة البرج لتوطين المعمرين الذين هاجروا إلى

الجزائر . واستقال الشيخ محمد المقراني من منصب الباشاغاوية في مارس 1871 ، وعقد اجتماعا مع رجال عائلته وكبار قواده يوم 14 مارس الذي تقرر فيه إعلان الثورة في الصباح الموالي، وظلت الثورة ذات طابع أرسطقراطي إلى أن إنضم إليها رئيس الطريقة الرحمانية الشيخ **أمزيان الحداد**، الذي دعا الشعب من بلدة صدوق (جنوبي غرب بجاية)إلى الجهاد ضد المحتلين الفرنسيين في 08 أفريل، فغدت بذلك ثورة شعبية واتسع نطاقها لتشمل قرابة نصف البلاد، وحققت نجاحات، ولكن الشيخ المقراني استشهد في 1871 - 05 - 05 ، فخلفه أخوه أحمد بومرزاق. وقد شهدت فترة من جويلية 1871 إلى غاية جانفي 1872 فترة تراجع المقاومة وهزيمتها، حيث تمكنت السلطات الفرنسية من فك الحصار عن عدة مدن كتيزي وزو ودلس...، والتغلب على المجاهدين في عدد من المعارك أهمها معركة إيش ريظن يوم 24- 06 – 1871م. وأمام انتصارت الجيش الفرنسي اضطر الزعماء الرحمانيين إلى تسليم أنفسهم، فخمدت الثورة في معظم بلاد القبائل منتصف سبتمبر 1871 ، أما الشيخ أحمد بومرزاق فقد حوصر وأسر يوم 20- 01- 1872م. شمال ورقلة. وبذلك انتهت هذه المقاومة التي كان من أسباب فشلها هو استقرار الوضع في فرنسا مما جعلها تتفرغ لمواجهة الثورة، كما أثر استشهاد المبكر للشيخ المقراني واستسلام زعماء الطريقة الرحمانية في معنويات المجاهدين، دون أن ننسى وجود الخونة الذين ساعدوا العدو .كانت نتائج هذه المقاومة وخيمة ويمكن حصرها في النقاط التالية:- أصدرت السلطات الاستعمارية أحكاما جماعية بالإعدام على حواي ستة آلاف (6000). شخص، وخفف بعضها إلى النفي أو السجن المؤبد، واستشهاد أكثر من عشرة آلاف (1000). في المعارك وإبادة عروش وقرى بأكملها. إجبار العديد من الجزائريين على الهجرة إلى المناطق الداخلية الفقيرة، ونفي أعداد كبير منهم إلى كاليدونيا الجديدة وإلى كورسيكا، وكابان بأمريكا الجنوبية. وهروب ستة عشر ألف(16000). جزائري إلى تونس وسوريا، وسبعة آلاف (7000). منهم من منطقة القبائل وحدها - فرضت السلطات الاستعمارية على المحاربين غرامات مالية قدرت بستة ملايين (6500000). ونصف فرنكا، وخصصت من هذا المبلغ قسطا للإنفاق على عمليات الهجرة واستيطان الأجانب في الجزائر خاصة من أهل الألزاس واللورين . والسيطرة على أربع مائة وستة وأربعون ألف وستة(هكتار المقدرة بثماني عشر مليون وستمائة وستة وتسعون ألف وثلاث وتسعون (18696093) فرنك فرنسي. - تخلص فرنسا من العائلات التقليدية الكبرى والتقليل من نفوذ بعضها. إصدار قانون وارنييه في 26- 07 -1873م. الذي أعطى الحق لكل مستوطن في الاستحواذ على ماتين (200). هكتار، وبالتاي لجأ أكبر الملاكين الجزائريين ممن انتزعت أراضيهم إلى العمل كمستأجرين أو خماسين، ولجأ الكثير من الفلاحين إلى رهن أراضيهم أو بيعها بأبخس الأثمان. أما عائلة المقراني فقد قدمت للمحاكمة بالمحاكم المدنية والعسكرية في كل من قسنطينة والجزائر العاصمة والبليدة، إذ أصدرت محكمة قسنطينة في حق مائة وأربعة (104). معتقل من بينهم بومزراق والشيخ العزيز وأخوه محمد بن حداد وعلي أوقاسي ،وغيرهم أحكاما بالنفي إلى مدينة " نوميه "بكاليدونيا الجديدة. صدر الحكم على الشيخ الحداد زعيم الطريقة الرحمانية يوم19- 04 -1873م. بالسجن الإنفرادي بخمس سنوات بسجن قسنطينة، لكنه توفي فيه بعد عشرة أيام عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين(83) سنة، أما أملاك العائلة(الحداد)فقد صودرت في أول أوت 1871 ، والهد من هذه المصادرة هو إرضاخ العائلة والتقليل من تأثيرها الروحي على الفئات الشعبية .

ج. مقاومة الشيخ بوبغلة ولالة فاطمة نسومر: كان محمد بن عبد الله الأمجد الملقب ببوبغلة يعر منطقة القبائل جيدا، إذ زارها عدة مرات كمبعوث للأمير عبد القادر، كان شخصية سياسية وعلمية وعسكرية، وكان لخطبه تأثيرا كبيرا على الناس، وقد سارع شيوخ الزوايا بالإنضمام إلى حركته وتزكيتها ومن بينهم لالة فاطة نسومر زعيمة الزاوية الرحمانية، وقد شن حربا على القوات الفرنسية وعلى المتعاونين معها من الخونة، وقد حاول مرارا تحرير بجاية، لكنه عجز عن ذلك خاصة في سنة 1851 ، وظل يقاوم حتى استشهد في 26- 12- 1854م. وحمل راية الجهاد بعد استشهاد بوبغلة الحاج عمر ولالة فاطمة نسومر ،وواصل المجاهدون حربهم ضد المحتل، وخاضوا العديد من المعارك، وأظهرت لالة فاطمة نسومر شجاعة وبسالة لا نظير لها، ولكن الحاكم العام الجديد **راندون** صمم على اخضاع منطقة زواوة بكل وسيلة، وتمكن من السيطرة على بعض المناطق كبجاية وتيزي وزو ودلس ومنطقة واد سيباو، وفي صيف 1857 وصل راندون على رأس جيش كبير إلى المنطقة لإخضاعها، واستطاع أسر الحاج عمر في: 24- 06 -1857م. ونفيه إلى تونس ليلتحق بالحجاز،وفي: 27- 06 -1857م. ألقت قوات الاحتلال القبض على لالة فاطمة نسومر وسجنتها بزاوية تابلاط، إلى أن توفيت في سبتمبر سنة 1863 عن عمر يناهز الثلاثة والثلاثين (33) سنة

.